فيلٌ على خِنصَري[1]

(1)

عندما حاولتُ، في يوم الخامس والعشرين من شهر يوليو، أن أدُقَّ الحرف (A) على آلتي الكاتبة، لاحظتُ وجودَ بثرةٍ بسيطة على خنصر يدي اليسرى؛ وفي يوم سبعة وعشرين، بدت أكبر على نحو واضح. وفي الثالث من أغسطس، تمكنتُ – مستعينًا بعدسة صائغ مجوهرات مكبرة – من تمييز شكلها، ووجدتُه أقربُ إلى فيلٍ مُصغَّرٍ. صحيحٌ أنه أصغر فيل في العالم، ولكنه فيل بأدق تفاصيله؛ وكان عالقًا بإصبعي من عند نهاية ذيله الصغير؛ ولذلك، ففي حين أنه كان حبيسًا في خنصري، إلاَّ أنه كان حر الحركة، وإن لم يكن ليستمتع بحرية حركته ما لم تكن مرهونة تمامًا بإرادتي.

وبعد تردد وتخوُّفٍ، عرضتُه على أصدقائي متفاخرًا، فاشمأزُّوا قائلين إنه ليس أمرًا طيبًا أن يكون لديَّ فيل على خنصري، ونصحوني باستشارة طبيب أمراض جلدية؛ فحقَّرتُ ما قالوا به، ولم أستشر أحدًا، وقطعتُ علاقتي بهم، وتفرَّغتُ بكاملي لدراسة تطور الفيل.

لقد أصبح، قرب نهاية أغسطس، فيلًا رماديًا صغيرًا وسيمًا حقًا، له طول إصبعي الخنصر، وإن كان أغلظ قليلًا. وكنت ألعب معه طول اليوم.

---

1 – العنوان الأصلي للقصة: (Essence And Attribute)

وكان يسعدني في بعض الأحيان أن أُشاكِسه وأدغدغه وأعلمه القيام ببعض الحركات الجمبازية والقفز فوق موانع صغيرة، كعلبة ثقاب ومبراة وممحاة.

وكان من المناسب، إذ ذاك، أن يتم تعميدُه. وفكرتُ في عديد من التسميات التي تبدو غير مستساغة وتقليدية، مثل دومبو وجامبو ويومبو، وأخيرًا اكتفيت بتسميته بالفيل، لا أكثر. واستهواني إطعامُه، فكنتُ أنثرُ له على الطاولة فتات خبز وأوراق الخس وقطعًا من أعشاب؛ وأضع هنالك عند الحافة قطعة من الشوكولاتة، كمكافأة له إن أحسن الاستجابة. وعرف الفيلُ الكفاح من أجل الحصول على المكافأة، التي لا يمكنه الوصول إليها إن أقفلتُ يدي بقوة، وقد أكدتُ بهذه الطريقة حقيقة أن الفيل لم يكن سوى جزء من نفسي، هو أضعف جزء.

ولم يمض إلا وقت قصير ليصل الفيل إلى حجم فأر، ولم يعد باستطاعتي السيطرة عليه بسهولة. وأصبح خنصري على درجة من الضآلة لا يستطيع معها تحمل نزقه.

(2)

وكنت لا أزال غير مدرك أن هذه الظاهرة لا ترجع إلاَّ إلى نمو الفيل. ولم أكن أبالي بهذه الفكرة، حتى وصل الفيل إلى حجم حَمَل. وفي ذلك اليوم، كنت أنا أيضًا في حجم حَمَل.

وكنتُ، ذات ليلة، وفي ليالٍ قليلة أخرى أيضًا، أنام على بطني، ويدي اليسرى ممدودة خارج الفراش، وكان الفيل ينام إلى جانبي على الأرض. واضطُررتُ، بعد ذلك، للنوم فوق الفيل، ووجهي متجه لأسفل، ورأسي على رِدفِه، وقدماي على ظهره. وسرعان ما وجدتُ أن جزءًا من وركه فيه الكفاية. يلي ذلك ذيلُه، ثم آخر الذيل، حيث لم أكن أكثر من بثرة غير محسوسة على الإطلاق.

عندئذٍ، خشيتُ أن أختفي، وأتوقف عن التحقق، ولا أصبح إلا ملليمتر، لا أكثر، من ذيل فيل. وقد انتفى ذلك الخوف فيما بعد، واستعدتُ شهيتي. وعرفتُ كيف أُطعمُ نفسي ببقايا فتات الخبز، وبعض من حبوب الطيور، مع قطع من العشب، وربما يكون معها حشرات مجهرية.

وقد حدث ذلك، بطبيعة الحال، من قبل؛ أما الآن، فقد تيسر لي أن أحتل مساحةً أستحقها على ذيل الفيل.

بالطبع كان هذا من قبل. لقد عملتُ الآن على احتلال مساحة مستحقة على ذيل الفيل. وصحيح أنني عشوائي، ولكنني أستطيعُ الآن التحصل

على قطعة بسكويت كاملة ومراقبة زوار حديقة الحيوان وأنا متخفٍّ وفي مأمن.

وأنا متفائل جدًا في هذه المرحلة من اللعبة، وأعلم أن الفيل قد بدأ يتقلص. لذلك، أجدني ممتلئًا بمشاعر تفوق منتظرة من قِبلِ المارة غير المكترثين، ومن يلقون قطع البسكويت إلينا، وهم لا يصدقون إلا الفيل الماثل أمامهم، دون أن يتشككوا في أنه ليس أكثر من صفة مستقبلية للجوهر الكامن، الذي لا يزال منتظرًا.